الغد يأتي بعد شهر

[وداعاً ... يا احلامي الذهبية]

لا ... فقراري خاطىء . لن أحلق شعري الآن ، فقد بقي لي شهر ، وعلبة (البريل كريم) ما تزال متخومة بجامد ابيض . واحذيتي ذوات الالوان المختلفة ، في درج الخزانة ، لم تعتق بعد .

لا ... لن احلق شعري الآن ، فبعد شهر ينتهي سلوك ويبدأ سلوك ، وأتحسس شعر رأسي فلا أجده . وتسأل عني الفتيات عبر الهاتف . فيرد صوت غير صوتي : (راح ع العسكرية) !

لا ... لن احلق شعري ، فبعد شهر يأتي الغد ، ويتبدل الاصدقاء ، ويأخذ اسمي لون التجريد ... إنه لون جديد !.. وتفرح فتاة متشائمة ، أحببتها ورفضتني ، فكان بيني وبينها صراعٌ طويل حول كرامتي . الغد يأتي بعد شهر ، ففي قدمي (بسطار) ثقيل ، وعلى جسدي ملابس ، بلون واحد ! وفي الليل ، في التاسعة تماماً ، تُطفأ الانوار في المهجع . ويحدّدُ وقت الاغفاء ، ووقت الصحو .. وينسفح (القانون) اليابس على كل الحركات !

أذاك الغدُ الآتي بعد شهر ، هو الغد الذي انتظرته؟.. لاادري !. كل ما اعرف ، انني انتظرتُ (غداً).. وتخيلته :

« طاولة فخمة ، في المكتب الانيق ،

« و (فيلا) على رابية تطل على العالم الصغير ،

« وامرأة أحبها ـ لا يهمني ان هي جميلة او غير جميلة ـ ،

« وطفل يناديني : بابا ...

« وكتب ... كتب كثيرة ...

« وموسيقى تصدح من المذياع الكبير ..

« وبيانو اعزف عليه آخر كل ليلة ، حين يغفو الجميع ...

« وبسمات تلوحُ لي على المدى البعيد ...

ومسبح .. مسبح صغير . اعلّم فيه ابني السباحة ،

« وتخاف عليه امه .. وتصيح ..

« ومرسم ، ولوحات زيتية أرسمها بريشتي ، في إطارات مذهبة .. أهديها الى اصدقائي المخلصين ...

« وامرأتي ، ارجوها ان تقف عارية ، امامي في وضع مستهتر ، لأخلدها في صورة ، ظلالها تحكي قصة حواء ، فترفض امرأتي ان تتعرى ، فأثور ، واهاجم تحفظ الشرق ، ويبكي طفلنا ! »

... الغد يأتي بعد شهر ، وتنعكسُ صورُ احلامي في كل الحوادث ؛ فحين يدق البوقُ معلناً الصباح ، سأفيق ملهوجاً ، فأحلق الذقن ، وأمسح الحذاء ، وارتدي الملابس ، تلتهمني السرعة ! وسأخرج الى ساحة التدريب في الصحراء الفقيرة ، ارفع بيدي الاثنتين الى فوق ، تارة مصفقاً ، واخرى من غير تصفيق ... واضرب الارض بقدم ، وانثني ، وانخفض ... بحركات صبيانية ... .

الغد يأتي بعد شهر ، وتكون (البندقية) مكان البيانو . وبعدها ـ في المعركة ـ ، سأحملُ جريحاً من اصدقائي الجنود ، بدلاً من ان احمل ابني في (الفيلا) التي على الرابية ... واثور على العدو ، بدلاً من ان اثور على امرأتي التي ترفض ان تتعرى . وسأطلق الرصاص ... الرصاص ... الرصاص سأطلقه بحكمة ، وجنونَ ... وأبقر بطون الخائنين ، وسأرى احشاء مائعة تندلق ، ورؤوساً بلا اجسام ، وأصابع مهترئة ، وارجلاً على الارض ، مجبولة بالدم والتراب ، منثورة بين عجلات المدافع ، وبين حصن النهر الجاف .. وستأتي الى مسمعي وشوشة النار الملتهبة من بعيد ... من مراكز العدو ، بدلاً من ان تأتي الموسيقى من المذياع الكبير ، في الفيلا التي على الرابية ... وغيوم ... غيوم كثيفة من الدخان ستملأ السماء ، وسيعم الضجيج ، وتبرق عيون كثيرة وسط الظلام .

وسيقول القائد : تقدموا .. فاذا نحن في مراكز العدو ، نهرس احلامه باسنان (بساطيرنا) المغبرة ونروي ظمأنا من آباره العميقة . وشيئاً ... فشيئاً سيحط الغبارُ على الارض ، ذرة .. وتنظف عجلات المدافع .. ويعود بعضنا الباقي الى الوطن ... ينشد في الطريق الطويل ، اناشيد النصر .

صورتان من خيالي ، وبعد شهر ، حين يأتي الغد ، ستجسد صورة ... وافقد الرابية ، والبيانو الجميل ، والمرأة التي احب ، والمذياع الكبير ، والكتب الكثيرة ، والبسمات التي تلوح على المدى ... والمسبح ، والمرسم ، والاطارات المذهّبة ، والطفل الذي ينادي : بابا .. الغد يأتي بعد شهر ... واولد من جديد !

سوريا ـ دوما

عبد الهادي البكار